

الشخصية العراقية في

كتابات الدكتور عبد الجليل الطاهر

يعد الدكتور الطاهر من رواد علم الاجتماع في العراق وقد كانت لكتابه الاثر الكبير من الدراسات وقد ساهم مع زملائه في نشر بذور علم الاجتماع الحديث و وضعوا اللبنة الاولى لوصف الظواهر الاجتماعية في الصحراء والريف والمجتمع الحضري وقد كانت بداية عطاءاته العلمية تتمثل في دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة كدراسة المجتمع البدوي والريفي و المدني لكن قبل نهاية حياته انتقل الى تقديم دراسات وحدات صغيرة المدى كدراسة مشروع المغيشي ودراسة الشخصية العراقية التي شكلت موضوعاً ساخناً للمناقشة والدراسة والتحليل في حينها على وجه الخصوص مع زميله الدكتور الوردى . وقد جاءت دراسته الشخصية العراقية في عامي (١٩٦٩ - ١٩٧١) عبارة عن ردود افعال لكتابات الدكتور الوردى ولم يكن من اهتماماته الفكرية او البحثية الاساسية بالرغم من انه كان عازماً على اصدار دراسة نفسية واجتماعية لظاهرة (القلق الاجتماعي في العراق) محاولاً ان يتعرف على طبيعة شخصية الفرد العراقي وكان طموحه منصباً على وضع الخطوط العامة لهذه الشخصية التي اختلف في وصف طبيعتها وتشخيص مقوماتها عدد كبير من رجال السياسة والمؤرخين والفلاسفة وعلماء الاجتماع و الاخلاق وغيرهم.

لقد وصف الدكتور الطاهر في دراسة القوقعة و القلق في المجتمع العراقي بأن الشخصية العراقية متقوقعة و قلقة في آن واحد و حدّد فكرته في ان الرواسب القوقعية في اعماق الشخصية العراقية خلفتها مجموعة من القوانين الموضوعية التي مارسها القوى الاجتماعية

بمختلف اتجاهاتها و الوانها و اشكالها و حجومها وتحالفاتها ومحاولتها فرض الضغوط على الخط العام لمسيرة المجتمع العراقي ليتفق مع التكوين القوقعي لتلك القوى فآثرت في تكوين هذه الشخصية . وقد وضع الدكتور الطاهر ثلاثة مظاهر اساسية لينظر من خلالها الى شخصية الفرد العراقي وهي :-

١. ان الانتماء القوقعي المتحجر الى الاسرة او المحلة او القبيلة او الطبقة او الطائفة وغيرها من الانتماءات الجزئية المقطعية تجر وجدان العراقي جراً غير متناسق الى بور ولانية مليئة بالمياه الآسنة من الاحقاد وتختلف في عفونتها وعمقها و تؤدي الى تصدع البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع .

٢. تمثل شخصية الفرد في العراق مظهراً تاريخياً وحضارياً يرمز ويعبر عن نموذج المجتمع في مرحلة تاريخية وحضارية معينة اي ان مراكز الثقل في الشخصية تختلف في اهتماماتها من مرحلة الى أخرى .

٣. ان لشخصية الفرد العراقي مستويات و اطرار مختلفة من العلاقات .

٤. ان هذه المظاهر الاساسية كما يتصور الدكتور الطاهر اعطت صورة مترابطة الاجزاء عن الشخصية والمجتمع وبينت ان في الشخصية العراقية مظهرين هما (١- القلق ٢- القوقعية) .

وهنا سوف نقوم بتوضيح الاطار التاريخي للشخصية العراقية وما ساهم به هذا الاطار من عملية خلق شخصية تعيش مرحلتها الحضارية في زمان ومكان محددين وبالتالي فان المظاهر المتمثلة في الشخصية العراقية توجه الشخصية العراقية بتوجهات صانعتها .

ويؤكد الدكتور الطاهر على ان الشخصية العراقية كانت حصيلة ذلك التفاعل التناقضي بين اعداد متنافرة من القواقع الولائية التي لم ينته تفاعلها الى تكوين نفسي متكامل ومتربط وجعل الشخصية العراقية ينبوعا لا ينضب من الحركة والقدرة على التغير والاصالة والابداع والاجتهاد وصلابة الرأي وباستطاعتها ان تطبع كل الاقوام التي وطأت ارض الرافدين وكل التيارات الحضارية بطابعها الخاص ولها القدرة على صهر الفكرة الواحدة وتحليلها وابداء الرأي في عناصرها وتأليف مدراس فكرية حولها .